حتى لا تقوم لها قائمة بعد الآن فيتمتّع الناس بالسلم الذي يسعى فضلاؤهم اليهِ ولكن هل يحتمل ان يتمّ هذا السحق ولا تتمكن بهِ العداوات والضغائن من النفوس وتخبو النار تحت الرماد الى ان تشب بعد سنوات قليلة فان جمهور الناس في هذا العصر يقول ما قالهُ القنّد الرماني في حرب البوس

صفحنا عن بني ذهلٍ وقلنا القوم اخوانُ
فلما صرّح الشرُّ فاسمى وهو عريانُ
ولم يبقَ سوى العدوانِ دنّاهم كما دانوا

فاتحة الحرب

وضع السر توماس باركلي رواية بديعة عمّا تخيّل حدوثهُ في قصر امبراطور المانيا بين الرابع والعشرين والحادي والثلاثين من شهر يوليو في العام الماضي قُبيل اعلان الحرب نشرها في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر فاقتطفنا منها ما يلي

الفصل الاول في ٢٤ يوليو

الامبراطورة جالسة في القصر الجديد بيتسدام امام شباك مفتوح والى جانبها مائدة عليها صور فوتوغرافية وازهار وادوات الحبك ودخلت الفرافن أما احدى وصيفاتها لابسةً ثيابًا سوداء ووقفت وقفة الوقار والاحترام والامبراطورة غائصة في بحار الافكار و يداها تشتغلان في الحبك فلما رأتها قالت لها لقد ازعجتني يا اما لماذا تدخلين مسرعةً هكذا

اما — أأقرع الباب قبل دخولي

الامبراطورة — مثل خدم جدتي . كلاّ

اما — ان صاحب السمو الامبراطوري وصل الآن وهو يسأل جلالتكِ هل تسمحين بمقابلتهِ

الامبراطورة — نعم ليأتِ حالاً

تخرج اما و يقرع الباب فتقول الامبراطورة ادخل فيدخل ولي العهد و يعتنقها وينزع سيفهُ بجمائلهِ و يعلقهُ

الامبراطورة — ماذا حدث يا ولدي

ولي العهد — امور هامة جدًّا يا اماهُ الحرب على الابواب

الامبراطورة — لامنح الله مع مَن

البرنس — مع كل احد وكيفما كانت الحال فالحرب واقعة لا محالة

الامبراطورة — كلاَّ كلاَّ ما منَّا مَن يريد الحرب

البرنس — الحرب لا مناص منها وقد اتيت لاشرح لكِ واقعة الحال

الامبراطورة — ماذا يقول ابوك

البرنس — لم يعرف حتى الآن

الامبراطورة — ماذا لقول ألا يعرف ابوك شيئًا ممَّا اتيتَ لتخبرني بهِ

البرنس — بلى يعرف ولكنهُ كثير الصبر وهو يحسب ان الامور تصطلح من تلقاء نفسها اما الامة فقد فرغ صبرها علينا لانها في تأهب دائم للحرب ومع ذلك لا تقدم عليها حاسبين ان البنادق والمدافع تحارب وحدها

الامبراطورة — لا شبهة ان اباك كثير المشاغل ولا يصغي الى احد الاَّ الى ذلك الاستاذ والى اصدقائهِ اليهود

البرنس — وهذا شيءٌ لا يطاق . وهو الآن في بُلهلمن ومعهُ اربعون بارجة يؤاكل اناسًا لا شأن لهم و يترك قواد الجيش واقفين مكتوفي الايدي حاسبًا ان البطالة تريحهم

الامبراطورة — لا تتكلم عن ابيك الاَّ بالوقار

البرنس — ليس في يدي يا اماهُ فقد ضاق صدري وفرغ صبري وكأن ابي نسي اني ولي عهدهِ واني سأخلفهُ فلا يسمح لي ان اذاكرهُ في شؤون مملكتنا

الامبراطورة — اليك عن هذا الكلام فاني لا اسمح لك بهِ

البرنس — المعذرة يا اماهُ ولكن بلغ السيل الزبى . اما الآن فقد قضي الامر والفضل لغيرنا . وهذا ما اتيت لاخبرك بهِ فاسمعيني واعذريني اذا ذكرت ابي وانا محتدٌ ولا تنسي ان الولد سر ابيهِ واذا لم اذكرهُ بالاحترام الواجب فيكون لانهُ هو لم يكن يذكر اباهُ بالاحترام فاورثني هذا الخُلق

الامبراطورة — قطَّبت جبينها وعبست في وجههِ ولم تتكلم

البرنس — لا بأس فانتِ يا اماهُ من دم المانيٍّ قح ليس فيهِ نقطة من الدم الانكليزي من فضل الله

فقالت الامبراطورة وهي متبسمة ان اولاد خالك يقولون انك انت اشبه اخوتك كلهم بالانكليز

البرنس — كثَّر الله خيرهم ولكن ما لنا ولهذا الصد الى موضوعنا ألا تعلمين ان المانيا صارت اضحوكة في الدنيا مثل كل من يجري يجوادٍ في ميدان السباق الى ان يصل الى الحفرة التي تشب الخيل فوقها ثم يدور و يرتدُّ بهِ راجعًا . فان هذا ما فعلهُ دائمًا منذ رقي والدي العرش

الامبراطورة — وقد حفظ السلم

البرنس — ولكنهُ صار هزءًا وسخريةً . والآن صارت اصغر الدول تستطيع ان تصفعنا على وجهنا ولا تخشى شرًّا اما الدول الكبرى فانظري هذا الاجتماع في بطرسبرج فان رئيس الجمهورية الفرنسوية عبر الى روسيا مارًّا حول المانيا كانا لسنا شيئًا يعبأ بهِ . هذا امر يفوِّر الدم . وانظري ما فعلت ايطاليا وهي حليفة لنا فانها اقتطعت افضل قطعة من افريقية من غير ان تستشيرنا ونحن نتذلَّل حتى تنال شيئًا من مستعمرات افريقية مما استغنت عنهُ كل الدول . انظري كيف تقف انكلترا وتأمر وتنهى ونحن لا نستطيع ان تأخذ محطة للفحم لان انكلترا تأبى علينا ذلك ولا نستطيع ان نقيم سكة حديدية ابتدأنا بها لان انكلترا اعترضت علينا . اخذت فرنسا الجانب الاكبر والاخصب من افريقية ونحن لم يسمح لنا ان نأخذ اصبعًا منهُ مع ان تجارتنا هناك اهم من تجارتها ولماذا ذلك لان انكلترا وقفت وقالت لا . لقد فار دمي ولكن ابي . . .

الامبراطورة — دع اباك جانبًا

البرنس — لا اقدر يا اماهُ لا اقدر ولكن لا بأس . ان هذا الذل يميت النفس وكلنا نشعر بهِ

الامبراطورة — كلنا !

البرنس — نعم كلنا الشعب الالماني كلهُ ولم يبقَ لابي الاَّ امرٌ من امرين اما ان يسير مع شعبهِ او يسير الشعب وحدهُ و يتركهُ

الامبراطورة — ماذا تعني

البرنس — اعني انهُ لم يعد لابي المقام الرفيع الذي كان لهُ في عيون الشعب

الامبراطورة — ولماذا لم تكلم اباك بذلك

البرنس — لا فائدة من الكلام معهُ لانهُ لا يكترث للامر واذا كلَّمتهُ قال لي ان لا غرض لهُ الاَّ نجاح المانيا وحفظ السلم وعلى آل الامر اليَّ فانا وشأني . ألا ترين يا اماهُ انهُ يظلمني بذلك لمجرَّد حبهِ الراحة واللهو

الامبراطورة — انت في غلط مبين يا ولدي نعم ان اباك كثير الحركة مثل المرحومة امه فانها كانت تهتم بامور كثيرة في وقت واحد ومع ذلك فقد عملت اعمالاً مجيدة كما عمل ابوك . كان اهالي برلين يكرهونها لانها كانت تلقي على المهندسين دروساً في حفظ الصحة ولكنهم فعلوا كما علّمتهم فصارت برلين مثالاً في النظافة . ويتعذّر عليك ان تتصوّر كيف كان القصر الذي انت فيه قبلما اهتمت باصلاحه . وابوك مثلها وسيعرف الناس فضله ويعترفون به

البرنس — قد يكون الامر كما قلت ولكن الحالة الآن لا تطاق فان دول الاتفاق الثلاثي عازمة على الحرب وانكلترا هي القائدة

الامبراطورة — انكلترا !

البرنس — نعم انكلترا وفرنسا واما روسيا فسيّرة لا مخبرة وقد اكل الحسد قلوبهن ولاسيما قلب انكلترا

الامبراطورة — على م يحسدنا

البرنس — على نجاحنا وحالما يتم تأهبهن يهجمن علينا كالضواري . فهل تقف مكتوفي الايدي الى ان يهاجمنا . اذا كان لا بدّ من الحرب فيجب ان نختار لها اليوم الذي نريده وقد حان هذا اليوم الآن

فوقفت الامبراطورة ووضعت يديها على كتفي وفي العهد ونظرت في وجهي وقالت انت تعلم معزّتك عندي لاسيما والت بكري وعسى ان تكون قد نفثت كل ما في صدرك من الغيظ بما قلته واجب ان اعرف ماذا قال ابوك

البرنس — ان ابي لا يعرف شيئاً مما قلته لك

الامبراطورة — أأبوك لا يعرف شيئاً

البرنس — لا يعرف ولذلك اتيت لاخبرك ان الحرب ستثور قبل اسبوع

الامبراطورة — ماذا تقول

البرنس — لا مناص من الحرب والاّ فلماذا تقررت الضريبة الحربية . وقد اعددنا مدافع الحصار ونحن الآن على تمام الاهبة ولم تكن في وقت من الاوقات متأهبين كما نحن متأهبون الآن واعداؤنا كلهم غير متأهبين مثلنا وستنتهي هذه الحرب قبل عيد الميلاد فيصير لنا المقام الارفع في اوربا بدلاً من ان تبقى مضغةً في الافواه وتضطر انكلترا ان تعرف مقامنا وتعدل عن معاملتها السابقة لنا لا يمكنك ان تتصوري مقدار كراهتي لها وكل الالمان يكرهونها

الامبراطورة — ولكن حربكم ليست مع انكلترا

البرنس — بلى معها وهذه هي خطتنا — ندخل باريس قبلما تتم روسيا تعبئة جيشها وقبلما تقر انكلترا على امر تفعلهُ ثم نسحق انكلترا فتنفتح لنا ابواب اميركا

الامبراطورة — اميركا ! والاميركيون اصدقاؤنا

البرنس — هذه من اوهام ابي كأن الاميركيين يصادقون احداً حبًّا بسواد عينيهِ . وما صديقك الأ من يخشى عداوتك . ولا بدَّ لنا من امتلاك برازيل وصختلكها

الامبراطورة — وما هي العلة الموجبة للحرب الآن

البرنس — لا توجد علة مخصوصة نتوسَّل بها ولكن المرجح اننا نتخذ ما حدث لولي عهد النمسا وسيلة

الامبراطورة — آهٍ من الرجال فانهم كلهم يعشقون الحرب

يتقلَّد البرنس سيفهُ ثم يقول لامهِ اتيت اخبرك لكي لا تحملي ابي على مقاومتي لان هذه الحرب تتعلَّق بمستقبلنا اكثر مما تتعلق بحاضرنا والمستقبل لي . ويشهد الله اني لا اريد ان اصير امبراطوراً وكنت افضِّل ان اكون الثاني لا الاول من اولادك ولكن قضى الله بما قضى واريٰ دم اسلافي في عروقي يضطرني الى طلب المعالي وما ولدت لهُ سأفعلهُ بكل جهدي

فاعطتهُ امهُ يدها فقبلها ثم قالت لهُ انك لم تصب في ظنك انني استطيع ان احول اباك اليك اوعنك فانهُ لا يسمع لي

البرنس — ان ابي يحب التملُّق مثل كل من يتقدم في السن فتملقيهِ قليلاً . ولا تستطيع المانيا ان تعيش بين جيرانها وهم كالذئاب الخاطفة الأ اذا كشرت لهم عن نابها . وارجو ان لا تخبري ابي بزيارتي هذه ولا احد يعلم بها الأ اما

ولما خرج جلست الامبراطورة تفكر في كلام ابنها . ودخلت اما حينئذٍ فقالت لها الامبراطورة اسمعتِ هذا الخبر يا اما

اما — اي خبر

الامبراطورة — خبر الحرب

اما — نعم سمعت شيئاً من هذا القبيل

الامبراطورة — ولماذا لم تخبريني

اما — ظننت ان جلالتك عارفة بهِ

الامبراطورة — لم اعرف شيئاً لان جلالتهُ لا يطلعني على شيء . لماذا يرغب الناس في الحرب

اما — يقولون انها حرب واقية واظن انهم يريدون بذلك انها حرب صغيرة تقي من حرب كبيرة كما ان ظم الجدري يقي من الجدري

الامبراطورة — هذه سخافة فلندع اذاً بعض الناس يرتكبون الجرائم الصغيرة لكي لا تقع الجرائم الكبيرة . فلا تصغي لهذه الاقوال ولا تعيدها على مسمعي . ومن قال لك ذلك

اما — هذا لسان حال الجميع بعد ارسال البلاغ الى السرب

الامبراطورة — وما علاقة السرب بنا

اما — يقولون ان حادثة السرب تعلة تمكننا من ان نشهر الحرب حالاً . فان انكلترا وفرنسا وروسيا اتفقن على ارسال بلاغ نهائي الينا

الامبراطورة — كيف عرفت ذلك

اما — هذا هو الدائر على الالسنة الآن وكل احد من رجال البلاط يتكلم به

الامبراطورة — وعن اي شيء هذا البلاغ النهائي

اما — عن ابطال التسليح فانهُ يقال انهنَّ سيطلبن من المانيا ان تقلل جيشها ومعداتها الحربية او يحاربنها

الامبراطورة — يا للوقاحة ولكن هذا امر لا يصدَّق . ومن قال لك ذلك ومَن هو المحرِّك له

اما — هذا هو الكلام الدائر على الالسنة ويقال ان المحرك لهُ هو السر ادورد غراي وان اميركا وايطاليا تعضدانه

الامبراطورة — هل تصدقين ذلك يا اما

اما — ارجو المعذرة من جلالتك اذا ابديت رأيي في هذه المسألة فاني اصدق ما يقال لانهُ اذا قويت دولة من الدول حتى اضطرت جاراتها ان يزدن جيوشهنَّ خوفاً منها ويتحملن نفقات باهظة لا قبَل لهنَّ بها فلا يبعد ان يتفقنَ على ازالتها

الامبراطورة — ولكن المانيا لا تتهدَّد احداً وجلالتهُ رجل مسالم

اما — ولكن جلالتهُ لا يسمع لاحد ولا سيما في امر الجيش والاسطول

الامبراطورة — وهذا هو الصواب ولكن ما شأن انكلترا في ذلك

اما — يقال ان انكلترا خائفة من اسطولنا خوفاً شديداً وقد جُنَّ بعض رجالها وجعلوا يكتبون في الجرائد مقالات تدل على جنونهم حاسبين اننا سنهجم عليهم ونمحق اسطولهم

ودخلت حينئذٍ احدى سيدات القصر وقالت ان جلالتهُ بعث اليك رسالة خاصة وقد

اعطاني اياها الفون اتنج لكي اسلمها الى جلالتك . ثم سلمت الرسالة اليها فقرأتها واذا هو يقول فيها انهُ اتى من نروج وسيصل في الغد . ولما قرأتها التفتت الى اما وقالت لها يظهر انك مصيبة لان رجوعهُ الآن بهذه السرعة يدل على امر هام . لا تقولي لاحد ان ولي العهد كان هنا لئلاَّ يسمع جلالتهُ بذلك فيفسرهُ على غير حقيقتهِ . آه لقد زاد سمني لانني قلما اتحرك تعالي وانظري ما اجمل هذا الورد ما اجمل الطبيعة كلها قالت ذلك ومشت نحو رواق وسارت فيهِ

الفصل الثاني

في مكتب الامبراطور بپوتسدام وهو غرفة واسعة فيها صورة الامبراطور وليم الاول والامبراطور فردريك والامبراطورة زوجتهِ والملكة فكتوريا وصور كثير فوتوغرافية . واثاث الغرفة من طرز لويس الخامس عشر . فُتح الباب ودخل فون اتنج ومعهُ صندوق الرسائل فوضعهُ على المكتبة وافتقد الاقلام ثم قُرع جرس التلفون فاخذ السماعة بيدهِ وقال كلاَّ يا صاحب السمو . نعم حتمًا . لم يبلغنا علم حتى الآن وساكلمهُ واخبركم حالاً . ووضع السمَّاعة في محلها وقرَع جرس التلفون وقال انا فون اتنج يا صاحب السعادة ان صاحب السمو الملكي ولي العهد يجب ان يعرف حالما يصل اليكم علم عن القطر الذي يرجع فيهِ الامبراطور . ثم ضغط زرًّا من ازرار التلفون وقال ان قطار سموهِ اجتاز ستندعل الآن وهو في اشد السرعة . نعم يا صاحب السمو . نعم نعم

ودخل الاميرال فون تربتز وزير البحرية (von Tripitz) والاستاذ فقال لها فون اتنج ان جلالتهُ اجتاز ستندعل ولا يصل قبل بضع دقائق

الاميرال — نعم ايها الاستاذ ان جلالتهُ لا يعرف التاريخ ولكنهُ من رجال الاعمال الذين يقوم التاريخ بهم . ويسوءُهُ ان يعلم ان اعمالهُ مقيَّدة ومحددة بما تقتضيهِ حوادث التاريخ وان لا سلطة لهُ على هذه الحوادث

الاستاذ — ان الحوادث مقدورة والانسان مسيَّر لا مخيَّر في اعمالهِ لان اعمالهُ نتائج لمقدمات سابقة لا بد لهُ فيها

الاميرال — لا شبهة ان الجيوش الروسية لا تعبأُ ما لم يأمر احد بتعبئتها

الاستاذ — نعم الامر كذلك ولكن لماذا صدر الامر بتعبئتها

الاميرال — لا احد يعلم في روسيا كيف تصدر الاوامر على ما اظن

الاستاذ — اصبت وحتى الآن لا يُعلَم من اصدر الامر الامبراطوري بقبول شروط اليابان للصلح مع ان وزير الخارجية وقّعهُ بيده

الاميرال — ولا يمكننا ان نعيش دائمًا على شفا بركان يمكن ان يثور في كل لحظة كما عشنا منذ ربع قرن الى الآن

الاستاذ — لقد مرّت قرون عديدة والناس عائشون على جوانب بركان يزوف في ايطاليا وهم يزرعون الكروم فيها غير مبالين بتحذير الذين كانوا يحذرونهم من ثورانهِ مع انهم كانوا يسمعون الاصوات من جوفهِ

الاميرال — لو كان هناك مهندس الماني لثقر ثُغرًا في جوانب ذلك البركان تنفث حممهُ منها ولوّث شرهُ

الاستاذ — نعم ولو ثار البركان ثانيةً وهذا ما يريد مهندسونا السياسيون ان يفعلوهُ الآن ولعل مهندسي رومية فعلوهُ لما ثار يزوف قبلاً

الاميرال — النتيجة مجهولة ولكن ما يحدث امرٌ لا بدَّ منهُ

الاستاذ — ان كل ما حدث في التاريخ فحدوثهُ مقدور وللامم حياة محدودة كما للافراد ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ولكن هذه الحرب مقامرة ولا يليق بالحكيم ان يقامر بكل ما عندهُ على ورقة واحدة

الاميرال — ولكن انكلترا لا تحرك ساكنًا لو كنتَ في كيل منذ اسبوعين وسمعت الاقوال التي قيلت هناك لثبت لك منها ان انكلترا نزعت من نفسها الخوف من اسطولنا. ففي اول الامر لم يخطر لها انهُ يمكن ان تنازع في تفوقها البحري ثم لما رأت ان ذلك صار امرًا مقضيًا قالت اذا لم يكن لك ما تريد فاردد ما يكون على جاري عادتها. وهذا هو الشيء الذي ينقصنا نحن ايها الاستاذ فكان الواجب ان نرضى بنجاحها ونعدل عن طلب الاحلام ولكن زادنا النجاح احلامًا . ولقد ارسلت اولادي الى انكلترا لكي يتعلموا فيها كيف يروّض الحقائق ويطلبونها بدلاً من طلب الاماني

ثم دخل المر بلين Ballin رئيس شركة همبورج اميركا وصافح الاميرال والاستاذ فالتفت الاستاذ اليهِ وقال ما رأيك يا بلين

بلين — هذا هو الخراب بعينهِ

الاستاذ — ولكن هذا امر لا مفرَّ منهُ

بلين — اتقول لا مفر منهُ ألا تعلم انهُ يخرب كل شمال المانيا

الاستاذ — غداً تسمع ان كل اللوم على الحكومة مع ان الامر ليس في يدها حتى ان امبراطورنا لا سلطة لهُ الاَّ على دفة الحكومة واقلُّ خلل في الآلة يعطل حركات الدفَّة وقس عليهِ قيصر روسيا

بلين — اذا لم يكن اللوم على الحكومة فعلى مَن اذاً أعلى الامبراطور

الاستاذ — لا على الحكومة ولا على الامبراطور

بلين — أعلى الجيش اذاً

الاستاذ — كلا لا يد للجيش في هذا الامر ولكن الشعب الالماني نفسهُ هو المسأول

بلين — اذاً اللوم على تعاليمكم الملعونة في مدارسكم

الاستاذ — نعم هي تحمل بعض اللوم والبعض الآخر على اساليبكم التجارية القبيحة

بلين — اصبت في هذا ايها الاستاذ فان إسلوب المانيا التجاري اسلوب ظالم خالٍ من كل مرحمة . وانا اعترف بذلك لانني ارى نفسي مضطرًّا ان اقاوم هذا الاسلوب كل يوم ونصف تجارنا لصوص

الاستاذ — ان كل البادئين في التجارة لصوص ولو على درجات مختلفة ونحن لا نزال في درجة الابتداء وكل الذين اسسوا المستعمرات الانكليزية كانوا لصوصاً والذين اسسوا المملكة الرومانية كانوا لصوصاً ايضاً

بلين — اظن انك مصيب في ذلك ولهذا يكره الناس تجارنا وبعض هذه الكراهة عن حسد كما لا يخفى وهذا الحسد لا تخلو منهُ طبقة من طبقات الناس

الاميرال — لا بدَّ لي الآن من الذهاب الى المحطة لاقابل الامبراطور . قال ذلك وخرج

بلين — وقد رأيت ذلك في اميركا وفي الواقع اني . . .

الاستاذ — لا داعي للذهاب الى اميركا لكي ترى التحاسد بين طبقات الشعب الواحد فان الامة الانكليزية كلها من اعلاها الى اوطاها حاسدة للامة الالمانية

بلين — لم ارَ ذلك في الانكليز الذين خالطتهم وعاملتهم بل ان اصحاب الاشغال الكبيرة منهم ينافس بعضهم بعضاً ولكنهم لا يتحاسدون

الاستاذ — ان ما تسميهِ تنافساً بين الطبقات العليا هو ما يسمَّى تحاسداً بين الطبقات السفلى والطغام والتحاسد اعمُّ من التنافس

بلين — اقول الطغام

الاستاذ — نعم الطغام وكلنا نعاشر الطغام ونعلِّم الطغام

بلين — فاذا اساء الطغام التصرف فاللوم عليكم وعلى تعليمكم

الاستاذ — نعم وانا لا انكر ذلك

بلين — اذا كانت هذه الحرب اللعينة ناتجة عن خلل في عقول العامة فسببها الاصلي تعاليمكم . وطالما خطر لي ايها الاستاذ ان كبر ادمغتنا هو علة من علتنا

الاستاذ — نحن كبار الادمغة ولكن ادمغتنا منصرفة الى العلم لا الى الفلسفة فان اهتمامنا بالعلوم الطبيعية صرفنا عن النظر في الامور النفسية اي صرفنا عن النظر الى ملابسات الاشياء التي يراها وهذا هو سبب ما يقع من الخطإ في احكام ساستنا

بلين — حقًا انك فيلسوف ايها الاستاذ ولهذا السبب احبك الامبراطور وقربك منهُ . قل لي بحقك ما هو رأيك في التمدن الانكليزي

الاستاذ — انا احب ان اقف على رأيك انت فيهِ

بلين — يا حبذا لو كان عندنا كثير منهُ

الاستاذ — ان كان هذا رأيك فقلما تجد من يمدحك عليهِ لا سيما وان الانكليز جفاة بالطبع

بلين — هنا يخطئ الالمان فقد عاملت الانكليز طويلاً فوجدت انهم غاية في الرقة والاستقامة والكرم وهم من اقل الناس اتخداعًا لان من يخدع بسهولة في الاشغال يجزى غيرهُ على غشهِ . واما مهم عصر مجيد فقد فقدوهُ في بعض الامور ولكن اذا ذهبت الى كندا رأيت ما يدهشك فان هناك قارة واسعة وستصير مقر الشعب الانكليزي في مئة عام وقد تصير انكلترا حقيرة بالنسبة اليها ولكن ذلك ليس مما يُعنى بهِ الشعب الانكليزي لان انكلترا تبقى امهم . وهم اعظم شعب في الدنيا ولا يمكننا ان نجاريهم حتى الآن

الاستاذ — وقد كان الرومان اعظم شعب في عصرهم واين هم الآن

بلين — كم سنة داموا كذلك

الاستاذ — ٧٠٠ سنة

بلين — اذًا يبقى الانكليز بعدي وبعدك

الاستاذ — لا انكر اننا نحن الالمان قد حُملنا على الاعتقاد ان كل جيراننا حاسدون لنا يدسون لنا الدسائس و يتربصون بنا الشر و ينتظرون ساعة نضعف فيها حتى يثبوا علينا و يوقعوا بنا . وهذا الاعتقاد غير صحيح ولكنهُ لازم لكي تنضم بعضنا الى بعض لانهُ لا شيء يحمل الشعب الالماني على الانضمام والاتحاد مثل ان تقنعهُ ان جيرانهُ يتآمرون على الفتك بهِ حسدًا منهُ . وهذا الاقتناع هو الذي جعل لنا جيشًا بريًا واسطولاً بحريًا وولّد فينا العاطفة

الوطنية ولا تقوم لامة قائمة بغير هذه العاطفة ولكنها اتجهت ضرراً كبيراً لا مناص منهُ فاننا علمنا الامة ان تثق وتطيع فوثقت واطاعت ولكننا خدعناها ايضاً كما تقدم ونحن نرى الآن تبعة خداعنا لها

ودخل اتنج حينئذٍ وطلب منها ان ينتقلا الى غرفة اخرى لان البرنس ولي العهد كان آتياً ودخل البرنس ولي العهد وقال لاتنج ماذا قال جلالتهُ

اتنج — لم يقل شيئاً

البرنس — هل جاء شيءٌ من عمي

اتنج — نعم جاء منهُ تلغراف الى جلالتهِ

البرنس — هو ايضاً من محبي السلام . لماذا لم يصر انكليزياً مثل باتنبرج . لقد ضاق صدري مما سمعتهُ من التملق والتجبيل في كيل بالامس . لا بدَّ من الحرب يا اتنج وان لم نقم اليوم فالله يساعدنا . ونحن من هذه الفئة ايضاً فئة المسالمين ومثل ذلك يا هو وزمرمن وستم Jagow, Zimmerman, Stumm كلهم من صغار النفوس . واقد سررت بارسال برنستورف Bernstorff الى رشنطون لانهُ منهم

اتنج — هل زوجتهُ انكليزية

البرنس — كلا بل اميركية فهي احسن نوعاً

ثم قُرع جرس التلفون فسلك اتنج السماعة وقال للبرنس انهُ لسموك . فسلك البرنس السماعة وقال في القصر . ثم التفت الى اتنج وقال لهُ اتريد ان تفارقني لحظة فخرج اتنج . وقال البرنس بالتلفون ان جلالتهُ غيَّر فكرهُ على جاري عادتهِ وهو آتٍ من كيل ... وانا ممتاظ ايضاً . جاء تلغراف من عمي ولا ادري بماذا اشار ولا بماذا اشار لشنوسكي (سفير المانيا في انكلترا) . كل ساعة تمر خسارة علينا . القول ان برشتولد (وزير خارجية النمسا والمجر) ضعف عزمهُ لا حول ولا قوة . سأمرُّ عليك الآن

قال ذلك وخرج وركب اتوموبيلهُ وعاد اتنج الى الغرفة واذا بصوت اتوموبيل آخر وتسليم عسكري وفتحت الابواب ودخل الامبراطور فسلم على اتنج مصافحةً وقال اين الوزير

اتنج — ان صاحب السمو الامبراطوري يرغب في مقابلة جلالتكم اولاً

الامبراطور — لا بدَّ لي من مقابلة الوزير حالاً (اي بتمن هلمج) . اعطني التلفون فتناولهُ وقال للياور الاول قل لولي العهد اني سأراهُ بعد بضع دقائق وقال لاتنج قل للوزير

ان يدخل . وادخل ولي العهد رأسهُ من الباب والتفت الى ابيه مستأذناً في الدخول فقال لهُ ابوهُ اني في انتظار الوزير الآن

ولي العهد — ألا يمكن ان تراني اولاً

الامبراطور — كلاَّ يا ولدي

البرنس — هوذا اني

ودخلت الامبراطورة فنهض الامبراطور ولاقاها وقبَّل يدها فقالت هذا شيء لا اطيقهُ

الامبراطور — ما هو الشيء الذي لا تطيقينهُ

الامبراطورة — هذا ابنك وهو اشد الناس كلهم تعلقاً بك

الامبراطور — انا آسف جداً ولكن لا بدَّ من خروجك ايضاً لاني اسمع الوزير آتياً

ودخل الوزير فسلمت الامبراطورة عليهِ وصافحهُ الامبراطور وخرجت الامبراطورة فقال الامبراطور للوزير انك تستحق الشكر الاكبر لاجل هذه الاعمال المختلة المعتلة

الوزير — اني لا انكر ذلك يا مولاي

الامبراطور — هذا يصلح الامر نوعاً . اين وقفنا الآن

الوزير — جاء تلغراف امس من بطرس برج ان روسيا تبعث جيوشها على تخوم النمسا اذا زحفت جيوش النمسا على السرب

الامبراطور — فماذا اجبت

الوزير — قلت اني واثق بانها لا تفعل ذلك لاني اخشى اننا لا نستطيع ان نرى الحرب تشبُّ بين روسيا والنمسا ونبقى على الحياد

الامبراطور — اين ياهو

الوزير — في غرفتهِ

فلمس القيصر زراً من ازرار التلفون ووضع السماعة على اذنهِ وقال أهذا انت يا ياهو احضر حالاً بكل المخابرات . ووضع السماعة من يدهِ والتفت الى الوزير وهو يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وقال لهُ اتدري ما مفاد هذا العمل

الوزير — نعم والامر جلَل

الامبراطور — فلماذا تركت الامور تصل الى هذا الحد ماذا كان ذلك الابله تشرشكي يفعل

فلم يجب الوزير بشيء فقال الامبراطور الم تسمعني قل لي هل هو المسيب لذلك كلهِ

الوزير — ليس وحدهُ

الامبراطور — لقد كنت دائمًا قليل الاركان الى هذا الرجل

الوزير — يوجد غيرهُ معهُ

الامبراطور — اذًا هناك دسيسة مؤامرة قُلْ لي مؤامرة

فنظر الوزير الى الامبراطور ولم يقل شيئًا فقال لهُ الامبراطور اتركني الآن وحدي وانتظرني في غرفة التخ · فخرج وجعل الامبراطور يمشي ذهابًا وايابًا وهو يقول ما اجتني وما اقصر نظري · وجلس ليكتب ومزق ورقة بعد اخرى ثم سمع جرس التلفون يقرع فامسك السماعة وقال ليس الآن · ودخل حينئذٍ ياور وذكر اسم فون ياهو فدخل فون ياهو وقال لهُ الامبراطور سل زحنت جنودهم فاجابهُ كلاَّ · فقال الم يجدّ شيءٌ فاجابهُ لم يجدّ شيءٌ في وزارة الخارجية · فقال الامبراطور ما لنا ولها ماذا جدّ في غيرها

ياهو — ارسلت وزارة الحربية الجنود الى الحدود

الامبراطور — لا مانع وهي لازمة في ساعة الخطر

ياهو — ولكن ارسالها هاج الشعب

الامبراطور — اتعتقد ان الشعب يريد الحرب

ياهو — هذا معتقد اركان الحرب

الامبراطور — هذه دسيسة · انت رجل عاقل يا ياهو قُلْ لي الحق اتظن انت ان الشعب يطلب الحرب

ياهو — اظن ان كثيرين من رعايا جلالتكم يريدون الحرب

الامبراطور — يظهر ان الالمان نسوا امامي الحرب · اغتنوا وصارت بلادهم فوق كل البلدان تقدمًا ونجاحًا فاتخمت من اليسر وهي تفتش الآن عن العسر لتجرّد حب التغيير · أهذا الذي تعنيه

ياهو — كلاَّ يا مولاي ولكنني اظن ان العامّة يظنون ان العالم كلهُ يسجد لهم حالما يرفعون صوتهم

الامبراطور — اطلعني الآن على المراسلات (وجعل يقرأها ثم قال) اتظن ان غراي يعني ما يقول

ياهو — قلما يعرف الواحد حقيقة افكار الانكليز ممَّا يسمعهُ منهم

الامبراطور — هذا كلام مبهم فافصح عن مرادك يا رجل

ياهو — ان ما نسمعهُ من السفير الانكليزي انما هو ترجمة الاوامر التي تأتيهِ من رئيسهِ

ورئيسهُ يترجم عمَّا يقال في مجلس الوزراء ويحس الوزراء عمَّا يقال في البارلمنت والبارلمنت عن آراء المنتخبين ووراء هؤلاء كلهم الناس من اصحاب المصالح يسيّرون الافكار كما يشاءون

الامبراطور — احسنت يا ياهو وهذا يصدق على كل الوزراء ما عدا غراي فان وزارة الخارجية مستقلة عن البارلمنت وتفعل ما تشاء . وانا اعرف غراي وهو مخلص ولا يمكن ان يريد الحرب . اراك تنظر اليَّ نظر المرتاب اكنني اؤكد لك ان الحرب ليست من مطالب رجال السياسة

ياهو — نعم حسب الظاهر

الامبراطور — الوزير في غرفة اخرى ولا بدَّ لي من مقابلة كثيرين وسأراكم كلكم بعد حين . لا توصل اليَّ مراسلات اخرى الآن اني اريد ان افكّر في الامر

ثم خرج ياهو ودخل الاستاذ فقال لهُ الامبراطور أطال انتظارك

الاستاذ — نحو ساعة فقط يا مولاي

الامبراطور — اراهم يكرهونك فلا بدَّ لي من ان امنحك لقب شرف لتعلو في عيونهم

الاستاذ — لا صحح الله

الامبراطور — لماذا (قال ذلك عابسًا)

الاستاذ — يكفيني شرفًا ثقة جلالتكم باخلاصي واود ان ابقى مشمولاً بهذه الثقة فلا اعرّض اخلاصي للانتفاع

الامبراطور — احسنت ولست ماخذك الاَّ ما تستحقهُ ولكن اعرف ان الحرب صارت على الابواب

الاستاذ — نعم

الامبراطور — هل عرفت بذلك قبل الآن

الاستاذ — نعم يا مولاي فان الحرب كانت على الابواب منذ مدة طويلة ولكن جلالتكم قادرون على غض الطرف عن رؤية ما هو جلي للعيان

الامبراطور — أإلى هذا الحد يا استاذ اني اجلُّك ولكنني لا انتظر منك ان تحسبني جاهلاً احمق معتدًّا بنفسهِ كلاَّ كلاَّ يا استاذ (قال ذلك ولد احمرَّت وجنتاهُ غيظًا فنهض الاستاذ وحنا رأسهُ امامهُ وسار نحو الباب)

الامبراطور — قف قف (فوقف) هاك يدي انت صديقي الوحيد ليس لي صديق مخلص غيرك اجلس

ووقف الامبراطور وجعل يمشي ذهاباً وإياباً وقدّم علبة السيكار للاستاذ فاخذ منها سيكاراً ماذوناً بورقة فضية

الامبراطور — ما قولك في هذه الحرب

الاستاذ — جنون مطبق

الامبراطور — بل جنون محكم

الاستاذ — ليس من جهتنا

الامبراطور — فنحن آلة اذاً آلة لا غير

الاستاذ — المانيا هي البلاد الوحيدة التي لا تستفيد من هذه الحرب

الامبراطور — ولكن اذا ما أمكننا روتردام ورفنا

الاستاذ — هذه احلام

الامبراطور — احسب اذاً اننا سنُغلَب

الاستاذ — كلاّ يا مولاي اني لا اعني ان الغلبة لا تكون لنا في النهاية ولكن التاريخ . . .

الامبراطور — ما لنا وللتاريخ نحن نصنع التاريخ

الاستاذ — ان اقدر رجال الحرب انما يستطيع ان يقتل خصمهُ ولكن حفظ الممالك يستلزم رجالاً اقدر من اقدر رجال الحرب . وطباع الناس لا تولد بغتةً بل هي نتيجة عصور كثيرة . كم من حرب تغلّب فيها خصم على خصم واجتاح بلادهُ ولكنهُ لم يستطع امتلاكها الاّ اذا اتفقت اخلاق الشعبين . مثال ذلك ان فرنسا ضمت اليها الالزاس وروسيا ضمت بولندا ولكن ما اعظم الفرق بين الضمين . واسبانيا ضمت هولندا ولم تستطع حفظها وهولندا ضمت بلجكا ولم تستطع حفظها ولماذا لان الروابط التي تربط امة باخرى هي اما وحدة اللغة والآداب او وحدة المصالح السياسية

الامبراطور — اعطني امثلة على ذلك

الاستاذ — مثال الاول الولايات المتحدة والثاني انكلترا اما الولايات المتحدة فانها جعلت سكانها كلهم يتكلمون لغةً واحدة فصارت اللغة رابطة سياسية لهم

الامبراطور — ولكن الالزاس المانية والهولنديون المان

الاستاذ — الهولنديون ليسوا من الالمان كما ان البروسيين ليسوا منهم

الامبراطور — اتقول ان البروسيين ليسوا المانًا

الاستاذ — نعم يا مولاي بل هم شعب قائم برأسه . وكذلك الهولنديون شعب مستقل له تاريخ خاص وآداب خاصة واخلاق خاصة

الامبراطور — وكبرياء خاصة

الاستاذ — نعم وكبرياء خاصة وحب للاستقلال . اما اهالي الالزاس فلم تمنعهم سلطة فرنسا الرفيقة من السير في الخطة التي ارادوها فصاروا كشعب مستقل مثل الهولنديين . وهق قوي خلق الاستقلال في النفس تعذر على المتسلطين نزعه منها

الامبراطور — اذاً انت ترى انهُ كان يجب علينا ان نترك الالزاس لتعود الى فرنسا

الاستاذ — كلاَّ يا مولاي ولكن الجنود لا يصلحون الاَّ لقتل خصومهم وقد حاولنا ان نحكم الالزاس بالجنود بدلاً من اتباع خطة افضل من هذه

الامبراطور — اذاً انت لا توافق على ضم بلاد البرين ولكن روتردام مرفأ المانيا

الاستاذ — يمكن ضمها سلمياً متى تغيرت اخلاق اهلها وصارت المانية ثم لا بدَّ من تصفية الحساب حينئذٍ مع انكلترا لانها لا ترضى بذلك

الامبراطور — انكلترا تثور في اول الامر ثم تخمد ثورتها فلا خوف منها

الاستاذ — اني اخالف جلالتكم في ذلك مع فرط احترامي لكم وانتم اعرف بطباع الانكليز

الامبراطور — كيف لا ونصفي انكليزي فان امي انكليزية

الاستاذ — ولقد كانت امرأة فاضلة

الامبراطور — نعم فاضلة ومن فضليات النساء (قال ذلك ومشى الى امام صورتها ونظر اليها ثم قال) ولو اسرع ارتقاء العلم لكانت لا تزال حية . لم اكن اعرف قيمتها في حياتها كما عرفتها بعد موتها فقد فقدتُ امَّا نصوحاً . ولقد كان خالي البرت اصدقاء كثيرون اما انا فليس لي احد من الاصدقاء الخلص الذين يسمون اني امبراطورهم فيكلموني باخلاص كما يكلم الصديق صديقهُ والكلام بيني وبينك يا استاذ ان ذلك معدوم في المانيا فاذا صادقت احداً اليوم شمخ عليك غداً . وبهذا يمتاز الانكليز علينا فانهُ مهما اشتدت الصداقة بينهم لا يدل احدهم على الآخر بل يلزم حدهُ . ولكن لنعد الى التاريخ ان انكلترا لا تحرك ساكناً في هذه الحرب لان المشكلة الارلندية شغلاً بدبها

الاستاذ — اظن يا مولاي انها تسرُّ بما يحوّل افكارها الى غيرها

الامبراطور — يقول لشنوسكي انهُ اذا اشتبكت انكلترا بمسألة خارجية فالحرب

الاهلية لثور فيها حالاً والجيش كلهُ في ارلندا ولا يمكن اخراجهُ منها . والآن مرادي ان ارى بلين فتصال وقابلني كل يوم

فخرج الاستاذ واستدعى الامبراطور الحر بلين فدخل فقال لهُ كيف عملت حتى وصلت بهذه السرعة وكل السكك مشغولة

بلين — اتيت بالاتوموبيل من هيرج الى هنا

الامبراطور — احسنت ما رأيك في هذه المشكلة

بلين — ليس لعبد مثلي ان يبدي رأياً

الامبراطور — اليك عن هذا الاتضاع المكروه يا رجل تقدَّم وقل لي فكرك . ولكن هل تغدَّيت

بلين — كلا

الامبراطور — ابقاك هؤلاء الوحوش كل هذه المدة بلا اكل سأحضر لك شيئاً تأكلهُ هنا . ثم نادى باوراً وقال لهُ اطلب شيئاً من الطعام للهر بلين فيأكل هنا . والتفت الى بلين وقال لهُ لقد جنُّوا كلهم

بلين — مَن الذي جن يا مولاي

الامبراطور — ما انا ولم اراك كأنك كبرت عشر سنوات عمَّا كنت . اتظن اننا غلطنا في عملنا

بلين — تعلمون جلالتكم اني واقف نفسي لخدمة المانيا ولكني لست كفوءاً للحكم في المسائل السياسية الكبيرة

وادخل الخدم حينئذٍ طبقاً عليهِ الوان الطعام فقال لهُ الامبراطور كُلِ الآن اظنك لا تستلذ هذه الحرب

بلين — كلاَّ يا مولاي

الامبراطور — ولكنها تنتهي في عيد الميلاد

فبقي بلين صامتاً فقال لهُ الامبراطور الظاهر انك لا تظن انها تنتهي حينئذٍ

بلين — نعم لا اظن

الامبراطور — قل لي اذاً ماذا تظن . ثم وقف وجعل يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً كأنهُ لا ينتظر جواباً لسؤالهِ . ولما التفَّ بلين اكلهُ وقف الامبراطور امامهُ وقدم لهُ سيكاراً وقال لهُ قل لي بحقك لماذا ارى الجميع راغبين في الحرب

فوقف بلين فقال لهُ الامبراطور ابقَ جالساً بل اجلس في هذا الكرسي واشار الى كرسي كبير وجلس هو في كرسي آخر الى جانبهِ وقال لهُ اذاً انت تظن اننا مخطئون

بلين — لقد أكون انا مخطئاً في ظني

الامبراطور — اليك عني هذا التواضع الممقوت قل لي فكرك وليس احد هنا يسمع ما تقول

بلين — ان الحرب خاضعة لقوانين الاشغال التجارية فهي هذه الاشغال مَن يخاطر باموالهِ يعرضها للخسارة معها اتخذ من الحيطة . نعم نحن خاطرنا مراراً في شركتنا ولكن جلالتك كنت تسندنا دائماً ولولا ذلك ما بقيت شركتنا الى الآن وهذه الحرب مخاطرة فاذا لم تفلح فاين السند

الامبراطور — كيف عرفت انها لا تفلح

بلين — لم اقل انها لا تفلح بل قلت انها ان لم تفلح

الامبراطور — نعم قلت يا بلين انها لا تفلح

بلين — كلاَّ يا مولاي ومرادي ان الخطر جسيم لا غير

الامبراطور — نعم جسيم ونحن مخاطرون بكل ما لنا

بلين — اذا فعل ذلك تاجر من التجار فيكون مرادهُ ان يتخسر اذا لم يفلح

الامبراطور — ولكن الكل يطلبون الحرب ويشتاقون اليها .

بلين — وسبب ذلك الجهالة وقلة الفكر

الامبراطور — هذا يطلق على العامَّة والطغام ولكنهُ لا يطلق على الوزراء والمشيرين

بلين — ولا انا اعني ذلك وانما اقول ان تشوُّق العامَّة الى الحرب سببهُ الجهل

الامبراطور — قل لي كيف يكون تأثيرها في همبرج

بلين — ذلك يتوقف على مَن تكون لهُ سيادة البحار فاذا امكننا باسطولنا الاصغر .

الامبراطور — ولكنهُ الاقوى

بلين — ان نسود على البحار فهمبرج تتقدَّم تقدماً لا مثيل لهُ والاَّ حلَّ بنا الدمار من وراء هذه الحرب

الامبراطور — اواهُ يا بلين ما اصعب هذه الاحوال . لا تفارقني اذهب وقل للقونتة اما اني اريد ان تبقى هنا هذهِ الليلة . وبعد حين سادعوك للمشي في الروض ونتحدَّث مليًّا

وخرج بلين ودخل ولي العهد

ستأتي البقية